نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٦٥١ — والشيب ينغمزها بألا تفعلي !

في (كتاب الأذكياء) لابن الجوزي : قال العتبي : رأيت امرأة أعجبتني صورتها فقلت لها : ألك بعل ؟ قالت : لا . قلت : أفترغبين في التزويج ؟ قالت : نعم ، ولكن لي خصلة أظنك لا ترضاها . قلت : وما هي ؟ قالت : بياض رأسي . قال : فثنيت عنان فرسي ، وسرت قليلاً . فنادتني أقسمت عليك لتقفن ، ثم أتت إلى موضع خال فكشفت عن شعر كأنه العناقيد السود . فقالت : والله ما بلغت العشرين ولكن عزّفتك أنا نكره منك ما تكره منا .

قال : فخجلت وسرت وأنا أقول :

فجعلت أطلب وصلها بتملق والشيب ينغمزها بألا تفعلي

* * *

في (الأغاني) : قالت امرأة لبشار : أي رجل أنت لو كنت أسود اللحية والرأس ! قال بشار : أما علمت أن بيض البزاة أثمن من سود الغربان ؟ فقالت له : أما قولك فحسن في السمع ، ومن لك بأن يحسن شيبك في العين كما حسن قولك في السمع ... ؟ فكان بشار يقول : ما أفحمني قط غير هذه المرأة .

٦٥٢ — فإنا لله وإنا إليه راجعون !

قال الجاحظ في (الحيوان) : بينا داود بن المعتمر الصيرفي جالس معي إذ مرت به امرأة جميلة ، لها قوام وحسن وعينان مجيبتان ، وعليها ثياب بيض ، فنهض داود ، فلم أشك أنه عرض ليتبعها ، فبعثت غلامي ليعرف ذلك . فلما رجع (داود) قلت له : قد علمت أنما قمت لتكلمها فليس ينفعك إلا الصدق ، ولا ينجيك مني الجحود ، وإنما غايتي أن أعرف كيف ابتدأت القول ، وأي شيء قلت لها ، وعلمت أنه سيأتي — بآبدة[1] — وكان مليا[2] بالأوابد — قال : ابتدأت القول بأن قلت : لولا ما عليك من سيمياء الخير لم أتبعك . فضحكت حتى استندت إلى الحائط ، ثم قالت : إنما يمنع مثلك من اتباع مثلي والطمع فيه ما يُرى من سيمياء الخير ، فأما إذ قد صار سيمياء الخير هو الذي يطمع في النساء ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ... !

٦٥٣ — لعن الله شر الثلاثة

اطلع مروان بن عبد الحكم على ضيعة له بالغوطة فأنكر منها شيئاً فقال لوكيله : ويحك إني لأظنك تخونني

قال : أتظن ذلك ولا تستيقنه ؟

قال : وتفعل ؟

قال : نعم (والله) إني لأخونك ، وإنك لتخون أمير المؤمنين ، وإن أمير المؤمنين ليخون الله . فلعن الله شر الثلاثة .

٦٥٤ — أردت أن أقول بعد يوم

قال الحدوني : بعث إلي أحمد بن حرب المهلبي في غداة السماء فيها مغيمة ، فأتيته والمائدة موضوعة مغطاة وقد وافت عجاب المغنية فأكلنا جميعاً وجلسنا على شرابنا . فما راعنا إلا داق يدق الباب فأتاه الغلام فقال : بالباب فلان . فقال : هو فتى من آل المهلب ظريف نظيف . فقلت : ما نريد غير ما نحن فيه . فأذن له فجاء يتبختر وقدامي قدح شراب فكسره فاذا رجل آدم ضخم ، وتكلم فاذا هو أعيا الناس ، فجلس بيني وبين عجاب ، فدعوت بدواة وكتبت إلى أحمد بن حرب :

كدر الله عيش من كدر العيـ ـش فقد كان صافياً مستطابا
جاءنا والسماء تهطل بالغيـ ـث وقد طابق السماع الشرابا
كسر الكأس وهي كالكوكب الدرى ضمت من المدام رضابا
قلت لما رميت منه بما أكره والدهر ما أفاد أصابا
عجل الله نقمة لابن حرب تدع الدار بعد شهر خرابا

ودفعت الرقعة له فقال : ألا نفست فقلت بعد حول ؟ فقلت : أردت أن أقول بعد يوم فخفت أن يصيبني مضرة ذلك . وفطن الثقيل فنهض . فقال : آذيته ، فقلت : هو آذاني .

---

(١) من المجاز جاء بآبدة : بأمر عظيم تنفر منه وتستوحش . والآبدة الكلمة أو الغطة الغريبة والداهية يبقى ذكرها أبدا (التاج) .

(٢) هو مليء بكذا : مضطلع به (الأساس) .

٦٥٥ — فما أخذت بترك الحج من ثمن

قال ابن جريج : ماظننتُ أن الله ينفع أحداً بشعر عمر بن أبي ربيعة حتى كنت باليمن فسمعت منشداً يُنشد قوله :
بالله قولا له فى غير معتبة :
ما ذا أردت بطول المكث فى اليمن ؟
إن كنتَ حاولتَ دنيا أو ظفرتَ بها
فما أخذت بترك الحج من ثمن
فحركنى ذلك على ترك اليمن والخروج إلى مكة فخرجتُ فحججت .

٦٥٦ — لا يقبل وزير فى وزارته

قال أبو العيناء : كان عيسى بن فرخان شاه يتيه على فى ولايته الوزارة . فلما صرف رهبنى . فلقينى فسلم على فأحنى . فقلت لغلامى : من هذا ؟ قال : أبو موسى . فدنوت منه وقلت . أعزك الله ، والله لقد كنت أقنع بإيمائك دون بيانك ، وبلحظك دون لفظك . فالحمد لله على ما آلت اليه حالك . فلئن كانت أخطأت فيك النعمة لقد أصابت فيك النقمة ، ولئن كانت الدنيا أبدت مقابحها بالاقبال عليك ، لقد أظهرت محاسنها بالانصراف عنك . ولله المنة إذ أغنانا عن الكذب عليك ، ونزهنا عن قول الزور فيك ؛ فقد والله أسأت حمل النعم ، وما شكرت حق المنعم .

فقيل له : يا أبا عبد الله لقد بالغت فى السب ، فما كان الذنب ؟ فقال : سألته حاجة أقل من قيمته ، فردنى عنها بأقبح من خلقته

٦٥٧ — سارت مشرقة وسرت مغربا

ذكر بعض الأكابر أن بعض أهل الظاهر فى عصر الحافظ ابن حجر كتب على تائية ابن الفارض وأرسل إلى بعض العظماء من صوفية الوقت ليقرظه ، فأقام عنده مدة ثم كتب عليه عند إرساله إليه :
سارت مشرقة وسرت مغربا شتان بين مشرق ومغرب
فقيل له فى ذلك ، فقال : مولانا الشارح اعتنى بارجاع الضمائر والمبتدأ والخبر والجناس والاستعارة وما هنالك من اللغة والبديع ، ومراد الناظم وراء ذلك كله .

٦٥٨ — رقعة . . .

فى (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) : قال على بن عدلان النحوى الموصلى : حضرت بدمشق عند محمد بن نصر بن عُنين الشاعر وزير المعظم ، فجاءته رقعة طويلة عريضة خالية من معنى ، فارغة من فائدة ؛ فألقاها إلى قائلا : هل رأيت قط أسقط من هذه مع طول وعرض ، فتناولتها فوجدتها كما قال ، وشرعت أخاطبه ، فأومأ إلى بالسكوت وهو مفكر ، ثم أنشدنى لنفسه :
وردت منك رقعة أسأمتنى وثنت صدرى الخمول ملولا .
كنهار المصيف ثقلا وكربا وليالى الشتاء بردا وطولا
فاستحسن أهل المجلس هذه البديهة ، وعجبوا من حسن المعنى .

٦٥٩ — كتاب أمير المؤمنين لا يكون ملحونا

فى (تاريخ بغداد) للخطيب :
كتب (المهدى) إلى عبيد الله بن الحسن العنبرى — وهو قاضى البصرة — كتابا فقرأه عبيد الله فرده ، فحمل عبيد الله إلى المهدى فعاتبه ، فكان فيما عاتبه به أن قال له : رددت كتابى ! فقال عبيد الله[1] : يا أمير المؤمنين ، إنى لم أردّ كتابك ، ولكنه كان ملحوناً ، وكتاب أمير المؤمنين لا يكون ملحوناً . فصدق المهدى مقالته وأجازه ورده إلى عمله .

٦٦٠ — وألقيت عليك محبة منى

فى (رسالة الصداقة والصديق) لأبى حيان التوحيدى :
ابن سمعون الصوفى : ما يقف البشر على بعد غَوْر قوله تعالى : « وألقيتُ عَلَيْكَ محبةً منّى ، ولِتُصنَعَ على عَيْنى » فإنّ فى هاتين الكلمتين ما لا يُبلغ كُنْهه . ولو أنّ أرقّ الناس لسانا وألطفهم بيانا أراد أن يَتوسَّطَ حقيقة هذا القول لم يستطعْ ، ونكصَ مَبْهورا . ثمّ قال : اللهمّ ، حَبِّبْ بعضنا إلى بعض ، واجمعْ هِمَمَنا إلى رضاك عنّا مع إحسانك إلينا ؛ إنّك أهلُ ذلك والجوادُ به .

---

(١) من أقوال عبيد الله هذا : لأن أكون ذنباً فى الحق أحب إلى من أن أكون رأساً فى الباطل . ولله هذا القول .